خـــارج المـــدى

عالم يخرج من الكتب إلى الغابة

فـاضل الـسلـطـاني

نصحنا اندريه جيد في (قوت الارض) ان نحرق الكتب ونخرج للحياة. وهو يقصد بالطبع ان نخرج من اسر الاوراق الصفراء، بعد ان نكون قد تشربناها، الى شجرة الحياة دائمة الخضرة ليحصل ذلك العناق الرائع، الذي تحلم به البشرية منذ فجرها، بين الفكر والواقع، والنظرية والممارسة.

واندريه جيد هو ابن القرن التاسع عشر العظيم، قرن المعرفة والنظريات الكبرى التي بدأت تتحول الى فعل غير مجرى البشرية، القرن الذي حاول تحويل المجرد الى محسوس، والنظرية الى تطبيق، سيتحول فيما بعد، في افتراقه التدريجي عن النظرية، او خيانته لها، الى ممارسة فجة عرفت تجلياتها المأساوية الكبرى في القرن العشرين.

كان هذا القرن، حسب تعبير المؤرخ البريطاني اريك هابزباوم، ؟قرن الحربين العالميتين، والفواجع الكبرى، والنفي، وقرن استخدام الغاز الكيماوي من قبل حاكم ضد شعبه للمرة الاولى في التاريخ الانساني؟. وهو يقصد بالطبع صدام حسين. ومن غيره؟

لكل هذه الاسباب يبغض هابزباوم، وكثير من المؤرخين والفلاسفة والكتاب، القرن العشرين اشد البغض.

ويبدو ان هذه التجليات المأساوية مستمرة بالتراكم الى درجة الانفجار الكبير الذي تنبئ عنه انفجارات صغيرة، قياسا به، هنا وهناك.

أعائد ذلك الى افتقارنا الى تلك القيم الروحية الكبرى التي علمنا اياها رواد التنوير الانساني، وحولتنا مع الزمن، وبعد آلام رهيبة، الى بشر حقيقيين، ولكن الى حين؟

ان التاريخ البشري، كما يبدو، كله على المحك لأنه احرق الكتب، وخرج عاريا الى الغابة، ممتشقا رمحه ونشابه، تماما كما كان يفعل جده الاول قبل ان يتحول الى انسان بفضل المعرفة.

سيـــرة حيـــاة أخـــرى
للكـــاتـب الأرجـنـتـيـنـي الـشـهـيـر بـــورخـيـــس

غـريـغـوري ميـلـر

ترجمة : عادل العامل

" إن بورخيس هو الأمر الأكثر أهمية الذي يحصل للكتابة التخيلية في اللغة الأسبانية في العصر الحديث ". هذا ما قاله الكاتب البيروي المعروف ماريو فارغاس لوسا، ذات يوم. وعندما تسلم الكاتب الكولومبي الشهير غابرييل غارسيا ماركيز جائزة نوبل عام ١٩٨٢، قال إن بورخيس (وكان ما يزال حياً آنذاك) ينبغي أن يكون هو الذي قد نال هذا التكريم بدلاً منه.

فبورخيس، في الواقع، هو الذي، في

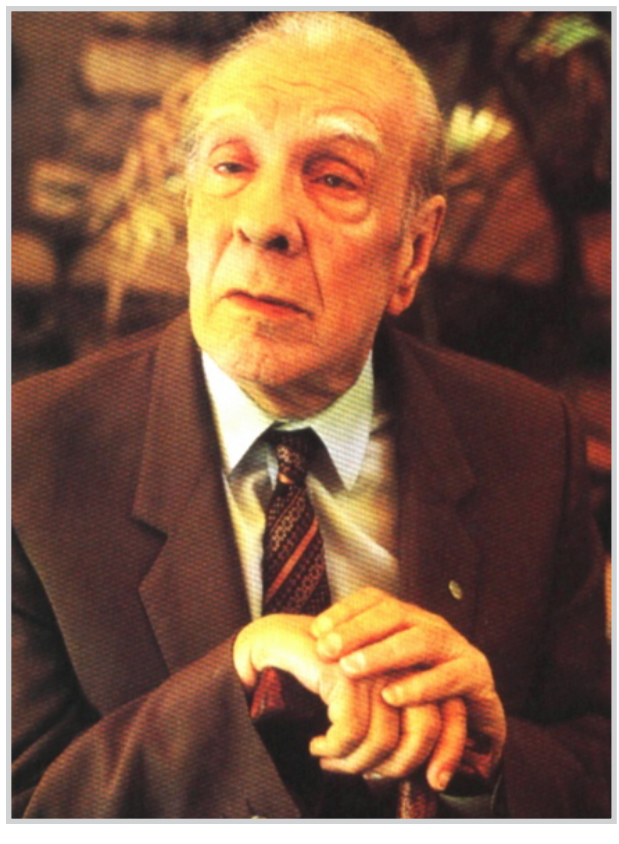

سياق عرضه لمجموعة حكايات فوكلورية من تركستان عام ١٩٢٦، بين الميزة الأساسية للواقعية السحرية (كما أصبحت تُعرف بعد عقود من الزمن) عندما دهش للكيفية التي ضببت بها تلك القصص الفارق ما بين الوهم أو الفنتازيا والواقع : " هناك ملائكة كما هناك أشجار : إنها مجرد عنصر آخر في واقع العالم. "

وسرعان ما سيقوم بورخيس بتضبيب الفوارق في عمله الأدبي : بين الفنتازيا والواقع،بين الأدب والفلسفة، بين الفن" الرفيع " high"و" الواطيء "، بين المقالات والقصص القصيرة، وما إلى ذلك من أنواع الكتابة. وسيكون الكثير من أدب الخمسين سنة الماضية، والكثير من الفن بوجه عام، غير قابل للتخيل لولا تأثير بورخيس. فبالإضافة إلى الواقعية السحرية وقدر كبير من الكتابة الأمريكية اللاتينية، فإن تأثير بورخيس حاضر في معظم ما يعتبر من فن ما بعد الحداثة، من كالفينو وأنجيلا كارتر إلى جان –لوك غودار وبيترغرينأوَي Greenaway.

إن القليل من سيرحياة بورخيس التي تظهر باللغة الانكليزية يتراوح بين النافع والكلام الفارغ. ولهذا كنت مفعما بالأمل حين وصلني كتاب إدوين وليامسون (بورخيس : حياة)،مع كلمة " نهائي " مثبتة بشكل بارز على الغلاف الأخير.

وهو ليس نهائياً، وإنما يمهد فعلاً الطريق لموجة ثانية ورفيعة المستوى من سيرحياة بورخيس التي يحتمل أن تظهر في جيل آخر من الآن. فقد استفاد وليامسون، وهو أستاذ اللغة الأسبانية في كلية إكستر بجامعة أوكسفورد، من مصادر متجاهلة ومنسية وأجرى مقابلات مع أكبر عدد حتى الآن من أصدقاء وأفراد الأسرة، بضمنهم مرافقة بورخيس المتسمة بالحذر خلال السنوات الأخيرة من حياته، ماريا كوداما.

بل أن وليامسون اكتشف خيطاً رئيساً في حياة بورخيس. فنجده في المقدمة يقول : " لقد بدأت أشك في أن إصرار بورخيس على تعديل أو محو كتاباته الشابة لم يكن بدافع من كرهه لمحاولاته الشعرية المبكرة بقدر ما كان لرغبته في التغطية على أمر ما كان قد سبب له ألماً خاصاً. واستطعت، في سياق مناسب، أن أوفر دليلاً أظهر أنه كان في الواقع قد عانى من تجربة في أواسط عشريناته دفعته إلى حافة الانتحار ودمرته تقريباً ككاتب. ولم يتحدث بورخيس بشكل مباشر عن هذه التجربة على الإطلاق، لكن أصبح واضحاً أنها كانت بالغة الأهمية بالنسبة لتطوره. إذ كان من نتيجة ذلك الأذى أنه توقف عن صيرورته شاعراً، واكتشف، بسبب من هذا إلى حد كبير، نوع الكتابة الذي سيصنع اسمه في نهاية الأمر.

وكان ذلك الأذى هو النهاية الموجعة المذلة التي ختمت علاقته العاطفية بكاتبة أرجنتينية من أصل سكندنافي، اسمها نورة لانج. وكانت لانج شاعرة جميلة مفعمة بالحيوية والجرأة وقعت في حب بورخيس، لكنها تعبت في الآخر من اختلال العاطفة بينهما. فقد كان بورخيس على الدوام (وسيبقى) أخرق مع النساء. فعندما كان مراهقاً في جنيف، رتب له أبوه الدخول في مرحلة الرجولة من خلال علاقة بمومس، كما اعتاد أن يفعل بعض الآباء الأرجنتينيين في ذلك الوقت. لكن بورخيس الشاب كان أي شيء إلا أن يكون اعتيادياً. ففي طريقه إليها، خطر له فجأة أن أباه يمكن أن يكون نفسه قد نام معها ! ويستنتج وليامسون أن بورخيس لم يعد منذ ذلك الحين يستطيع التخلص من الخجل من الجنس (وأدبه القصصي وشعره يؤيدان ذلك في الغالب).

وذات مساء، بعد عدة أشهر من اقتران لانج وبورخيس، وصلا معاً إلى حفل أدبي.

فغادرت لانج الحفل مع شاعر سريالي وغندور أدبي متعدد البراعات، يدعى أوليفريو غيروندو، الذي تزوجته في آخر الأمر. وسقط بورخيس في فترة طويلة من الاكتئاب وتحول بحماس زائد نحو مذهب الفعالية السياسي المتشدد. وفقد صوته الشعري أيضاً : إذ توقف، وكان لتوه قد رسخ مكانته الشعرية، عن نشرأي كتاب شعر لمدة ١٣ عاماً. ومما زاد الأمور سوءاً، قيام لانج بنشر عملين قصصيين من أعمال السيرة ، يصور كل منهما بورخيساً خفيف القناع باعتباره الطرف الخاسر في علاقة ثلاثية مركزة حول الراوية الأنثى.

وعاش بورخيس في مغازلات سمجة وفي ظل أم مستبدة. ووجد نفسه مهجوراً أكثر من ذي قبل، فتزوج زواجاً غير مناسب في العقد الأخير من حياة أمه. وفي النهاية، وجد، بتعبير وليامسون، " عاماً محكم الأركان من السعادة " مع ماريا كوداما، سكرتيرته ومساعدته وتلميذته السابقة.

إن وصف وليامسون لحياة بورخيس فاتن ومحبط على حد سواء. فهو أقل سير حياة الكتّاب العظام صراحة. ومع هذا كتب بورخيس في مقالة مبكرة : " إن كل الكتابة هي سيرة حياة في المشوار الأخير ". ويمضي كتاب وليامسون هذا أبعد كثيراً من أي كتاب لسابقيه في تطبيق هذه الرؤية على بورخيس نفسه. فهذه السيرة تضيء الرجل المعذب بين سطور العديد من القصائد والقصص، الأمر الذي يتسبب في قراءة مؤلمة أحياناً، غير أن دراسات بورخيس سوف تحقق نفعاً بالتأكيد على المدى الطويل.

عن / ملحق التايمس الأدبي

ماهر مقلد يطرح الشيخ وحشي

الـروايـة تـرصـد واقع القـريـة المـصريـة المملوء بـالأسـاطـيـر

احمـد الـشـهـابي

لم يقصد الكاتب الروائي ماهر مقلد في روايته الأولى" الشيخ وحشي "أن يعكس كل هموم مصر وأحزانها في حقبة الستينيات من خلال روايته فالعمل وإن بدا عبارة عن رواية تشخص حياة قرية نائية في أعالي صعيد مصر وتقدم نماذج حية للناس في هذه القرية لكنه تسلل بأحداث الرواية في سهولة لتصل إلى عمق العاصمة المصرية القاهرة وتغوص في وقائع ما جرى لمصر بسبب نكسة ١٩٦٧ والتأثيرات الدرامية الكبرى التي عصفت بالقاهرة بعد النكسة من يطالع الرواية في بدايتها يخيل له أنها تعالج قصة شيخ مبرور توفي قبل مئات السنين لكن ضريحه المميز في القرية ما يزال يشغل الناس ويلخص عمق تفكيرهم ، و لكن سرعان ما يتخلى الكاتب تدريجيا في روايته عن سطوة شخصية الشيخ في العمل وينتقل بحرفية إلى عالم آخر وهو العالم الحقيقي الذي تتشكل منه القرية ويلتقط بعض النماذج الحية التي تلخص هذا العالم وتعطى اكبر انطباع واقعى عن صعيد مصر وعاداته وحكاياته من خلال نموذج قبيصي الجندي الذي خاض معظم حروب مصر مع اسرائيل وعاش أهوالا ومصائب اكبر من احتمال الانسان واصعب من ان يتحملها انسان و أجمل ما في رواية" الشيخ وحشي" تلك الفتاه التي اتخذ لها الكاتب الروائي اسم مبروكة وهو اسم شائع بعض الشيء في صعيد مصر وقدمها في الرواية كما لو كانت النموذج الحقيقي للعفة والجمال والطهارة وهي اقرب ما تكون لشخصية مصر ولظروفها .

بينما وقف عن بعد المؤلف من خلال شخصية ناجح الشاب الطامح الذي يرعى الفضيلة ويحرس كل القيم ويجسد الخير والنقاء فيما برز بشكل كبير دور الاستاذ عبد الله النموذج المتعلم وسط الآلف من الأميين يتقدمهم الحاج هارون رجل الاحداث والمناسبات في الرواية .

والرواية تتحدث عن شيخ مبرور يعتقد الناس كثيرا فيه وفي بركته ويتندر الجميع عن فتوحات هذا الشيخ الذي صعق ثعلبا لكونه تورط ودخل بقدميه منطقة الفناء التي تعلوها قبة الشيخ ومن يومها والكل يحلف بحياته ويخشاه الجميع ويوم وفاته كان مشهودا حيث لم يبرح جثمانه المكان الذي توفي فيه رغم محاولات اهل القرية المتكررة في تحريك الجثمان ولكنه تسمر في ذات المكان وتم دفنه في هذه المنطقة التي تحولت إلى منطقة لها قدسية عند أهل القرية والقرى المجاورة لكن هذه المنطقة المباركة وللمصادفة البحتة تحولت إلى مكان ترتاده مساء كل يوم تقريبا شلة لا يزيد عدد افرادها عن اصابع اليد الواحدة تجلس مساء تحتسى الخمر وتدخن الحشيش وتتحدث في كل أمر يخص القرية لكن حديثها بالأساس ينصب حول مبروكة وهي فتاة من بنات القرية تتمتع بجمال لافت وشخصية قوية ويتمناها كل شباب القرية زوجة وحبيبة ولكنها هي على الدوام تبدو غير مهتمة وتحب جمالها الآخاذ أكثر مما تحب الزواج وكل فرد من أفراد الشلة يتمنى أن يتزوجها أو يزوجها لشقيقه الأصغر ، لكن والد مبروكة لم ينجب الولد ويخشى أن تتوزع ثروته على الغرباء ويخطط لزواجها من ابن عمها التلميذ الذي يقيم في القاهرة مع والده الذي نزح اليها قبل سنوات.

ويدور في الرواية صراع نفسي كبير حول الفوز بمبروكة الفتاة الطاهرة التي لا تزال تشكل العفة والكرامة لكن شيئا ما يربط بين مبروكة وبين مصر المحروسة كما لو كان يقصد المؤلف أن يقول أن مبروكة هي مصر التي تتجاسر عليها الكلاب لكن دون ان تتمكن من النيل منها رغم كل ما حل بها ويلتقط الكاتب الروائي في روايته مأساة جندي مصري من إحدى قرى صعيد مصر كان يخدم في الجيش الثالث الميداني بسيناء عندما صدرت الأوامر بالانسحاب غير المنظم وظل هو ووحدته طوال ١٢ يوما حفاة عراة في سيناء خلال رحلة الانسحاب حيث نجحت الرواية بشكل غير مسبوق في نكأ الجرح الغائر في عمق الذاكرة المصرية والعربية وشخصت عن قرب لحظة فارقة في تاريخ الجيش المصري.

لكن أكثر المشاهد في هذا العمل الادبي دلالة وتأثيرا بعد مشهد الانسحاب المهين كان مشهد وفاة جمال عبد الناصر والحزن الدفين الذي خيم على مصر وبالأصح على القرية التي تدور احداث الرواية بداخلها فيوم وفاة عبد الناصر كان يوما حزينا على القرية بل واستمر الحزن لايام وشهور الى الحد الذي جعل احد شخوص الرواية يكاد ينفجر غيظا لكون شخص آخر فكر في خطبة مبروكة قبل مرور الاربعين على وفاة الرئيس.

رواية" الشيخ وحشي" ربطت بين مبروكة وبين حكم العسكر بشكل دائم كما لو كانت تتنبأ بان مصر سوف يحكمها العسكر مدى العمر وتعتمد الرواية في معالجتها للواقع المصري على الانغماس الكبير في العلاقة مع الله ومع أولياء الله الصالحين وتكشف عن عالم القرية الذي لا ينفك معتقدا في الزار وفي بركات المشايخ وفي سطوة الشياطين والجن على بني البشر ولم يتردد مؤلف رواية (الشيخ وحشي) في ان يكشف عن جانب آخر للشائعات تتميز به القرية عندما عادت مبروكة من القاهرة التي لم تستطع التكيف معها أو الاقامة بها بعد النكسة ومشاهداتها ما يشبه الاهوال من تصرفات جارتها التي كانت تمارس الرذيلة مع شاب جامعي تورط في علاقة آثمة معها وكانت تسمع وهي في حجرتها المشتركة معها في الشقة اصواتهما وهما يفعلان المنكر وغاظها أكثر أن تعترف المرأة العوب بعلاقتها الأثمة مع الشاب بل وتقول بكل فخر انا مصاحبة شاب كله نشاط وحيوية وأعيش حياتي ، هذه الاهوال التي مرت بها مبروكة في القاهرة جعلتها لا تضيق بالعيش بل جعلتها تقرر الانفصال عن زوجها والعودة إلى القرية من جديد هل لأنها فقدت ميزة انها الفتاه الأجمل التي كانت محط اهتمام ومطمع كل العرسان ام لكونها عاشت في صندوق اسمنتي وخالطت الساقطات والمهمشين لم تفكر مبروكة فيما اوصلها الى هذا القرار لكنها ارتاحت إلى العودة والطلاق ونست ألسنة اهل القرية التي ربطت بين عودتها قبل ان يمر عام على زواجها وبين حادث شرف مشين تورطت فيه مع زميل لزوجها في العمل وان الزوج ضبطهما في وضع الغرام ولكنه لم يرتكب حماقة القتل وفضل أن يطلقها بينما تحدثت شائعات أخرى عن انها اكتشفت ان زوجها عاجزا جنسيا وانه لن يقدر على اشباعها وهي الفتاه الفائرة التي تجسد المعنى الحقيقي للانوثة .

هكذا عالجت الرواية حال مبروكة الذي كان هو حال مصر قبل وبعد نكسة ١٩٦٧ وكما لو كانت الرواية تتنبا بما سوف تجنيه مصر من تغيرات اجتماعية بسبب النكسة ظهرت فيها بشكل طبيعى جدا الموجة الاولى للجماعات الاسلامية من خلال شخصية أحمد افندي المدرس بمدرسة القرية والذي وقع ضحية لامرأتين جاهلتين اقنعتاه أن في صحن منزله كنزاً من الذهب وأوصد عليهما باب منزله لايام وخلع كل ما تعلمه في المدرسة وخلع ايضا كل ما علمه لتلاميذه وانساق وراء وهم الثروة الوهمية لكنه افاق على الحقيقة وحدها وهي صدمة فقده لكل ما يملك من ثروة بعد أن نصبتا له الفخ وسرقتا كل ما خف وزنه وغلا ثمنه في بيته وبعد ان سرت في القرية القصة لم يستطع احمد افندي ان يواجه الناس واعتكف في منزله لشهور طويلة غير قادر على مجابهة الموقف أو حتى مواجهة عيون زوجته وأطفاله كما لو كان عمل عملا محرما او مشبوها في حين انه كان ضحية مثله مثل الآلاف غيره من الناس.

وبعد مرور الشهور خرج إلى النور ولكنه كان يعيش في الظلام واعفي لحيته وجند انصارا من الشباب واختطف الدعوة والمسجد وطعم الحياة الطبيعية.

مـقـــاطـع مـــن :

انين " العباسة " في المخدع البغدادي!

عـبـاس الـبـدري

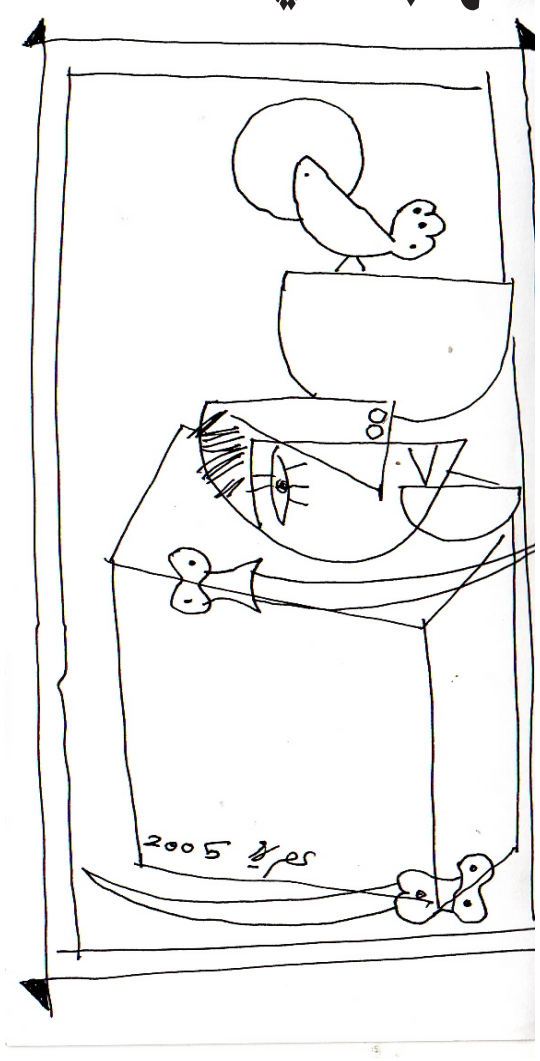

قَدحا خَمرٍ غَدرا بي في حانات الدنيا:
قدحُ في شيرازَ، وآخرُ في كردستانَ،
فأمّا القدحُ الكردستانيُ فبينَ طريقِ النبعِ،
وأشجار الكَرَز الدامي
ليلةَ ودعّني قمرٌ بغداديٌ أوجعهُ العشقُ،
وأما القدحُ الشيرازيُ ففي ذكرى الشعراءِ
المغدورينَ، صحابتنا،
حُلفاء الشَجَرِ الطيّبِ،
إنَّ الشعراء المغدورينَ تطاردهم فِرَقُ الاعدامِ،
فكلُ قصيدة حُبٍ غارقةٌ بالدمِ،
ونصبُ الحريّةِ طشرّهُ الدمُ،
وبغدادُ ترنّ..، محطمةٌ بغداد، كما قدحٌ ألقاهُ
السكيرُ الارعنُ في الحانةِ،
كيفَ يرنّ الدمُ على المرمرِ، بغدادُ ترنّ،
سقاةُ الحانةِ تعثرُ أرجلهم بالجثثِ المطروحةِ،
هؤلاءِ تداولهمْ غدرُ الخناقين باسمِ الرأفةِ،
باسمِ حَمامات الزاجلِ، يشطرها السهمُ،
فظلُ المديةِ يعثرُ بالجُرحِ..،ووفرة قتلى،..
شعراء ، اعمدةُ الحكمةِ،
وراقونَ يرنونَ على المرمرِ في صالاتِ الملكِ
العربيدِ،
فويلٌ..، ويلٌ لعراقٍ يسلخهُ السيافونَ،
وتصرعهُ الغيلةُ،
بينَ طريقِ النبعِ وأشجار الكرز الدامي!
(مسكناً للاحبةِ، وديارا لملوك الرأفةِ كانت
هذه المدينة،
كيفَ صُرعت الرأفةُ،
أين ملوكها؟!!)
...
كيفَ البُعدُ..،أزّقةُ بغدادَ قلوبٌ تخفقُ ما بين
ضلوع الشعراءِ،
منائرها الخضراءُ، مقاهيها، حانات أبي نوّاس،
زحامُ النسوةِ في سوق الدّهانةِ،
صيحاتُ القصابينَ، شجارُ الحمّالينَ، مزاحُ
المّارةِ،
يروونَ عن الحيدرخانةِ أمثالاً ،
أشجارُ السدرِ بمقبرةِ في باب الشّيخِ،
هنودٌ، بنغاليونَ يبيعونَ خناجرَ من عاج،
وخواتمَ من شرقِ خراسان، عباءات حريرٍ،
أفراحاً عابرةً،
أكرادٌ من راوندوزَ تحارُ نذورهمُ بين اللهِ ،وبينَ
مذابحِ كردستانَ،
تداهمهم دوريات الشرطةِ،
والدّمُ يرنّ على المرمرِ إن عراقاً أحببناهُ
يطاوعه الوَدُ،
فيصرعهُ البُعدُ،
فويلٌ، ويلٌ لصريعِ غواني بغدادَ،
لنصبِ الحريةِ يقتادُ الى سوق الصفّارينَ،
كما اقتيد الاكراد الى السبيِ،
وفرق ما بينَ طريق النبعِ وأشجارِ الكَرَزِ
الدامي!